11 me Année No. 509

Lundi - 5 - 4 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ فى مصر والسودان

١٢٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الحادية عشرة «القاهرة فى يوم الإثنين ٣٠ ربيع الأول سنة ١٣٦٢ — الموافق ٥ أبريل سنة ١٩٤٣» العـــدد ٥٠٩

الفهـــرس

الفـــــرد والدولة

للأستاذ عباس محمود العقاد

للأحوال الاقتصادية فى كل مجتمع شأن عظيم فى توجيه حياة أفراده ، وفى إقامة النظم الحكومية والآداب العرفية بين أهله

هذه حقيقة لا حاجة بها إلى كشف ولا إثبات ، ولا حاجة بها إلى كاشفين ولا مثبتين ، لأنها أقرب إلى البديهيات المقررة والأصول المسلمة ، منها إلى « نظريات » الأدلة والبراهين

هذه حقيقة لم يكشفها الاشتراكيون والشيوعيون ، وإن غلا فيها دعاة الاشتراكية والشيوعية ، فإن شاءوا من خصوم مذهبهم أن يثبتوها معهم أو يثبتوها قبلهم أو بعدهم فما من معارضة فى إثباتها بين فريق من الناس حيث كان

ولهم أن نزيدهم خطوة أخرى فى هذا الطريق فنقول : إن الأحوال الاقتصادية وراء كل حركة عظيمة من حركات التاريخ ؛ فما سجل التاريخ قط من نهضة أو دعوة أو ثورة أو انقلاب إلا كان للأحوال الاقتصادية فى كل أولئك أثر واضح وسهم كبير

وإلى هنا نقف فلا نستطيع أن نتقدم خطوة ؛ لأننا إذا تقدمنا خطوة أخرى وراء هذه الخطوة قلنا ما ليس فى وسعنا أن

تقوله وليس فى وسع العقل أن يتقبله ويسيغه : قلنا إن الأحوال الاقتصادية هى كل شىء وإنها هى المهم الذى لا مهم غيره ، وإن العوامل الكونية لا تشتمل على شىء آخر غير المضاربات والأسواق وتداول الأسعار

وهذا مسخ للحياة ومسخ للفكر ومسخ للعوامل الكونية

بل هذا مسخ للكون حتى ليصبح من بداية الخلق إلى نهايته « بورصة » مضاربات ومثابة سمسرة وشطارة واختلاس

وليس فى وسعنا أن نقول ذلك ، وإن قاله الاشتراكيون ، وقاله الغلاة من الاشتراكيين وهم الشيوعيون الماركسيون

فالأحوال الاقتصادية شىء هام ولكنها ليست بكل شىء هام ، والأحوال الاقتصادية لها سلطان على المجتمع ولكنها ليست بكل سلطان فى المجتمع ، وليس المجتمع مع ذلك بالقضاء الذى لا يرد له حكم فى حياة الأفراد ، فقد يكون للأفراد حكم نافذ فى كل مجتمع نشأوا فيه

والقول بهذا هو الحد الفاصل بيننا وبين دعاة الاشتراكية الذين يلغون سلطان الفرد ليثبتوا سلطان المجتمع ، ثم يقيمون للمجتمع قانوناً لا فكاك منه ولا محيد عنه ، وهو قانون الضرورة المادية أو الضرورة الاقتصادية أو ما يسمونه فى الجملة بالتفسير المادى للتاريخ

ليست الأحوال الاقتصادية بكل شىء

وليس المجتمع بكل شىء

وليس الفرد لغواً إلى جانب المجتمع أو الأحوال الاقتصادية .

ولكنه شىء ، والمجتمع شىء ، والأحوال الاقتصادية شىء ، وليس من الضرورى اللازم لإدراك حقيقة من الحقائق الاجتماعية أو الفلسفية أن نلغى شيئاً من هذه الأشياء

* * *

أحسبنا فى عهدنا هذا أحوج ما كنا إلى توكيد هذه الحقيقة مرة بعد مرة ، لأن توكيدها فى الأذهان غير عاصم من ضلال الشعور — بل ضلال الوهم — الذى يتمثل لبعض الناس كأنه مذهب من مذاهب التفكير

فتغليب الشئون الاقتصادية ، أو تغليب الدوافع المادية على دوافع الحياة فى الأفراد ، هو فى الواقع « قدرية » جديدة يلجأ إليها العاجزون فى زماننا هرباً من التبعة ، كما لجأ العاجزون فيما مضى إلى قدرية القرون الوسطى

كان العاجزون فيما مضى يقولون : ماذا نصنع ؟ وما الحيلة ؟ هذا قدر مكتوب لا حيلة فيه !

فأصبح العاجزون فى زماننا يقولون : ماذا نصنع ؟ وما الحيلة ؟ هذه ضرورات الاقتصاد التى تسيطر على إرادة الأفراد ، فلا لوم عليهم ، ولا تقصير من قبلهم ، وإنما اللوم لوم المجتمع والتقصير تقصير « الأحوال »

وما كتبنا قط مقالاً عن الفرد والمجتمع إلا أحسسنا بخطر هذه القدرية فى أسئلة بعض السائلين ، وتعقيب بعض المعقبين ، فعلمنا أنه « مهرب » جديد من التبعات الفردية ، يلوذ به من يحاول فيفشل فيعز عليه أن يلوم نفسه على فشله ، فيذهب به ليلقيه على كاهل المجتمع أو الأحوال الاقتصادية أو التفسير المادى للتاريخ

أحسسنا بخطر هذه القدرية مرة أخرى على أثر المقال الذى كتبناه عن أسس الإصلاح ، والمقال الذى كتبناه عن فلسفة الترجمة[1] ، لأننا أثبتنا فى كلا المقالين وجود الفرد إلى جانب وجود الدولة أو المجتمع ، وخرجنا منهما بالرأى الذى خلاصته أن الفرد قد يكون قوة فاعلة كما يكون نتيجة منفعلة ، وإن الإصلاح الذى يلغى حرية الفرد فساد شر من كل فساد

كتبنا ذينك المقالين فلم يسترح إليهما أناس ممن استراحوا إلى القدرية الجديدة ، لأن إعفاء النفس من اللوم راحة ، وإلقاء التبعة كلها على المجتمع راحة ، وفيما ذكرناه فى المقالين ما يزعج المستنيم إلى تينك الراحتين

يجب أن نقول إن المجتمع هو كل شىء ، وإن الذنب كله هو ذنبه ، ليستريح المؤمنون بالقدرية الجديدة

ولكننا لا نقول ذلك ، وليس لنا أن نقوله ... بل نحن نقول إن المجتمع شىء فقط وليس بكل شىء ، وإن عليه ذنوباً وليست عليه جميع الذنوب ، فالقدريون إذن غير مستريحين ، و « الحوقلة » من نوع جديد هى كل ما يعبرون به عن هذا القلق المستحدث : قلق التفسير المادى للتاريخ !

(١) جاء فى هذا المقال سهواً أن الفرق بين فرنسا أمس واليوم هو الفرق بين فوش وبيتان . والصواب كليمنصو وبيتان

ومهما يبلغ هؤلاء القدريون الجدد من الحوقلة فما هم بقادرين على إلغاء الفرد وإنكار قسطه من توجيه التاريخ ، وبخاصة حين يكون من عظماء الأفراد

قالوا مثلاً ما طاب لهم أن يقولوا عن المظالم التي ضيقت على الناس منذ قرون فهجروا بلادهم إلى القارة الأمريكية ، وقالوا ما طاب لهم أن يقولوا عن الأسباب الاقتصادية التي حفزت أناساً إلى البحث عن طريق جديد إلى الهند ، فعثروا من طريق المصادفة على تلك القارة الأمريكية

ولكن الذي قالوه كله لن يفسر لنا الفوارق بين الناس في التأثر بالمظالم أو بالعوامل الاقتصادية ؟

فالمظالم قد نزلت بملايين من الناس ، والعوامل الاقتصادية قد أحاطت بملايين من الناس ، فلماذا وجد فيهم من ينفر من الظلم فيهجر بلاده ووجد فيهم من يستكين إلى الظلم فيقيم حيث أقام ؟ ولماذا قنع أفراد بالشظف وطمح أناس إلى الوفر والثراء في قطر مجهول ؟

أهي العوامل الاقتصادية التي فرقت بين فرد وفرد في حظوظ الحياة وملكات الشعور ؟

وإذا كانت العوامل الاقتصادية لم تخلق هذا فمن أين لها أن تلغيه ، وكيف يسعها أن تفسر التاريخ وهذه الفوارق الحيوية باقية عندها بغير تفسير

كانت نظم الحكم في الدولة العثمانية واحدة ، وكانت أسباب المعيشة بين رعاياها متماثلة أو متقاربة ، ولكنها كانت تدين اليوم لسلطان قوى فإذا هي قوة مخيفة لمن حولها ، ثم يخلفه على الأثر سلطان ضعيف فإذا هي مطمع لكل طامع فيها

فكيف ينكر المنكرون مع هذا أن اختلاف الأفراد لا يغير ولا يبدل في حوادث الأمم وحركات التاريخ ؟

وسألنا سائل : ماذا يكون « صلاح الدين » لولا الحروب الصليبية ؟ فسألناه : وماذا تكون الحروب الصليبية لولا صلاح الدين ؟ بل لماذا تغيرت الوقائع كلما تغير القواد في تلك الحروب وفي جميع الحروب ؟

والطريف في مناقشات هؤلاء القدريين أنهم يعقدون المقارنة بين الأبطال والحوادث ليرجحوا نصيب الحوادث على نصيب الأبطال ، فيضعون صلاح الدين في كفة ويضعون الحوادث الصليبية في كفة أخرى ، ويفعلون مثل ذلك في جميع الحوادث وجميع الأقدار ، فإذا هم يبدعون للناس وزناً لا يستقيم في ميزان لأن المقارنة إنما تنعقد بين الأمثال والأشباه ؛ فتنعقد المقارنة بين الحروب الصليبية وبين الغارات التترية ، أو بين حروب الإسلام وحروب المسيحية ، أو بين الثورة الفرنسية والثورة الروسية ، ثم تنعقد المقارنة بين القواد هنا والقواد هناك ، وبين العظماء في نهضة والعظماء في نهضة أخرى ، ليتبين لنا ما استطاعه هؤلاء وما استطاعه هؤلاء ، ويثبت لنا الميزان رجحان هذا أو رجحان ذاك

أما من هو الأرجح : صلاح الدين أو الحوادث الصليبية ؟ فهو ميزان لا يفيد ولا يدل على شيء ، ولا يئوب إلى أصول

أو الوجه الصحيح في بيان فعل صلاح الدين وفضله أن تنعقد المقارنة بينه وبين فرد آخر ممن كانوا في عصره ولم يفعلوا مثل فعله ولم يؤثر لهم فضل كفضله . فيقال إنه فعل وأن غيره لم يفعل ، وأن اختلاف الأفراد يؤدي إلى اختلاف الأفعال

لكن الغرام الذي ملك على هؤلاء القدريين ألبابهم هو غرام البخس والانتقاص ، وأقرب طريق إلى البخس والانتقاص أن يكون العظماء فضولاً وترفاً « مستغنى عنه » ... لأنهم أفراد وليسوا بمجتمع وافر التعداد !

* * *

نحن أبناء الشرق أحرى الناس أن نفلت من إرهاق هذه الآفة ، لأننا قد فنينا في المجتمع آلافاً من السنين . فحق لنا أن نعطي الفرد أمداً من الحرية يرتع فيه جيلاً أو جيلين ، ولو على سبيل التجربة إلى حين !

على أن الحقيقة البينة التي نؤمن بها أن المستقبل للفرد إلى آخر الزمان إن كان للزمان آخر نستقصيه ، وأن التاريخ الإنساني هو تاريخ الفرد في اضطلاعه بالحقوق والواجبات . فكلما أوغلنا في القدم رجعنا على التوالي إلى أزمنة تقل فيها حقوقه كما تقل فيها واجباته ، وكلما تقدمنا مع الزمن كانت آية التقدم أن الفرد يزداد في تبعاته أي يزداد في حقوقه وواجباته ، ويعرف له شأناً في المجتمع مستقلاً به ما وسعه أن يستقل ، أو هو على الجملة أوفر استقلالاً مما أتيح له في مجتمعات الزمن القديم

ومقاييس التقدم كما قلنا فى بعض كتبنا « كثيرة يقع فيها الاختلاف والاختلال : فإذا قسنا التقدم بالسعادة فقد تتاح السعادة للحقير ويحرمها العظيم ، وإذا قسناه بالغنى فقد يغنى الجاهل ويفتقر العالم ، وإذا قسناه بالعلم فقد تعلم الأمم الضمحلة الشائخة وتجهل الأمم الوثيقة الفتية ، إلا مقياساً واحداً لا يقع فيه الاختلاف والاختلال ، وهو مقياس المسئولية واحتمال التبعة .

فإنك لا تضاهى بين رجلين أو أمتين إلا وجدت أن الأفضل منهما هو صاحب النصيب الأوفى من المسئولية ، وصاحب القدرة الراجحة على النهوض بتبعاته والاضطلاع بحقوقه وواجباته ، ولا اختلاف فى هذا المقياس كلما قست به الفارق بين الطفل القاصر والرجل الرشيد ، أو بين الهمجى والمدنى ، أو بين المجنون والعاقل ، أو بين الجاهل والعالم ، أو بين العبد والسيد ، أو بين العاجز والقادر ، أو بين كل مفضول وكل فاضل على اختلاف أوجه التفضيل

« فاحتمال التبعات هو مناط التقدم المستطاع »

ومعنى ذلك أن التقدم هو الاعتراف بالفرد والاعتراف بشأنه فى المجتمع ، والخروج به من ربقة القدرية التى تفرض عليه سلطاناً يستغرقه ويطويه .

عباس محمود العقاد

٢ - علوم اللغة العربية
فى المدارس الثانوية
للدكتور زكى مبارك

مشكلة المشكلات

هى مشكلة الصراحة فى وزن الأمور التعليمية بالقسطاس

وأنا مقبل على شرح تلك المشكلة بلا مبالاة ولا مداراة ، فما يهمنى أن يرضى فلان أو يغضب فلان ، لأن المنافع الوقتية لا تهمنى بشيء ، ولأن الخطة التى اخترتها لحياتى هى خطة الصدق الصريح فى جميع الشؤون

أقول هذا وقد شاع بين جمهور المدرسين أن مفتشى التعليم الثانوى قرروا تقليل موضوعات الإنشاء

وأنا لن أعرض لتلك الإشاعة بنفى ولا إثبات ، لأنى لا أملك إعلان ما دار فى اجتماع المفتشين إلا باحتراس ، فما يجوز لرجل يشترك فى إحدى اللجان أن يذيع مداولاتها بأى حال

ولكن ما الموجب لطي تلك المداولات والجرائد تنشر تفاصيل ما يدور فى مجلس الشيوخ ومجلس النواب ؟

لو كان مقامى مقام الترفق لطويت أقوال زملائى ، لأدفع عنهم تطاول المتطاولين من المتهاونين ، ولكن مقامى مقام الثائر الذى لا يرضيه غير الظفر بأكبر نصيب من أنصبة النضال ، فأنا أوذى نفسى ولا أوذى زملائى حين أعترض على الترفق بالمدرسين والتلاميذ

بدعة مزعجة

هى بدعة التخفيف ، تخفيف الواجبات المدرسية

وعندى كلمة سأقولها مرة واحدة ثم أسكت عنها إلى آخر الزمان .

سأقول إن فى مصر ناساً يظنون أن تلاميذ المدارس الثانوية أطفال ، وأن من الواجب أن تكون دروسهم هينات لينات ، لأنهم أطفال !

سأقول إن التخفيف يفضى إلى قلة الاهتمام ، والاهتمام هو أساس كل تفوق . وقد صارت علوم اللغة العربية فى المدارس الثانوية عرضة للتسهيلات والتخفيفات من عام إلى عام ، بصورة توجب الانزعاج

لقد انعدم علم الصرف أو كاد ينعدم فى المدارس المصرية ، وصار من النادر أن نجد تلميذاً يعرف كيف ينتفع من المعاجم اللغوية .

ومضى التخفيف إلى النحو فحذف منه أبواباً كثيرة ، وصار من النادر أيضاً أن نجد تلميذاً يفهم أسرار الإعراب

وانساق التخفيف إلى علوم البلاغة فهو يقص حواشيها بلا تردد ، وقد نرى غداً من يقترح حذف تلك العلوم ، بحجة أنها نشأت فى بيئات أعجمية !

وقرر المفتشون فى اجتماعهم الأخير حذف تاريخ الأدب ، وكان يجب أن أفرح لأنى اقترحت ذلك منذ سنين ، ولكن

الطريقة التى احتجوا بها لذلك القرار قامت على القول بأن التلاميذ أضعف سن أن يفهموا تاريخ الأدب ، لأنهم فى حكم الأطفال !

والواقع أن تلاميذ المدارس الثانوية يسايرون من حيواتهم عهداً هو أخصب العهود ، فيجب أن ننتفع بتلك الفرصة فنزودهم بالمعارف التى تسندهم فى المستقبل ، ويجب أن نخلق فيهم الشوق إلى جميع المعارف ، وأن نجعلهم جنوداً سعداء بالجندية فى ميدان التعليم والتثقيف

قلت لزملائى : أنا أستطيع شرح أصعب معضلة أدبية أو فلسفية شرحاً يفهمه أضعف تلميذ ، فلا تسيئوا الظنون باستعداد التلاميذ

فقال الأستاذ مختار يونس : لم أفهم شيئاً مما تقول

فقلت : لأنى أوجزت فى مقام يجب فيه الإطناب !

يجب أن نفهم أن الفرصة فى أيدينا ، وأن الشبان بين العاشرة والعشرين صالحون لفهم أصعب الدقائق . ويجب أن يكون فى نيتنا جعل مرحلة التعليم الثانوى مرحلة حاسمة فى تكوين عقول الشبان ، بحيث لا يحتاجون إلى المعاهد العالية إلا إذا تساموا إلى الأستاذية فى مختلف العلوم والفنون

وأنا لا أعرف كيف قضينا أزماناً بلا فهم للمراد الصحيح من التعليم الثانوى ، فهو عندنا إعداد للتعليم العالى ، وكان يجب أن يكون إعداداً لخوض معترك الحياة بلا تهيب ولا إشفاق

أنا أكره أن تدوم هـذه الحال ، وأحب أن يصير الشاب رجل أعمال بعد العشرين ، وأتعجب من أن يعيش عالة على أبويه إلى الثلاثين

وأنا أتمنى أن يصبح التعليم العالى مقصوراً على من يملكون الوقت والمال ، ولهؤلاء فرص لا يظفر بها غير آحاد أو مئات ، وهم لن يكونوا أشرف من الشبان الذين يصارعون أمواج الحياة قبل العشرين

مرحلة التعليم الثانوى هى الفرصة الحقيقية لتثقيف الشبان . وتضييع هذه الفرصة إثم موبق

والكلمة لحضرات المدرسين ، فماذا يقولون ؟

من واجب كل مدرس أن يدرك أنه مسئول عن إعداد تلاميذه للحياة ، بحيث لا يحتاجون إلى شيء بعد التعليم الثانوى ، إلا أن يتساموا إلى الأستاذية ، كما قلت قبل لحظات

وما هذه الأستاذية التى توجب أن يكون فى معاهدنا العالية ألوف وألوف ؟

نحن نخلق لأبنائنا متاعب ثقيلة بفضل هـذه الأحلام ، ونحن نصدهم عن الحياة بفضل هذه الأحلام ، ونحن نجنى عليهم جناية سنُسأل عنها يوم يقوم الحساب

مرحلة التعليم الثانوى هى المرحلة النهائية ، ثم يلتفت الشاب إلى حاله فيكون رجل عمل فى أى ميدان

والمدرس مسئول عن تحقيق هـذا المنى ، ومن واجبه أن يهب تلاميذه جميع ثروته العلمية والأدبية فى أقصر وقت ، لينصرفوا إلى الحياة بعد أسابيع لا سنين !

والمهمّ هو أن نؤمن بأن الشبان فى مرحلة التعليم الثانوى رجال لا أطفال

المهمّ هو أن نحدّث تلاميذنا فى جميع الشؤون حديث الزميل للزميل

إن هؤلاء التلاميذ خلقٌ جـديد ، وقلبى يحدثنى بأنهم يعرفون من حقائق الحياة أكثر مما نعرف

والمدرس الحق هو الذى يسبق زمانه بعشرات السنين ، ليحاور تلاميذه فى أشياء تسبق زمنهم بأزمان

فتى نجد ذلك الدرس المنشود ؟

هو موجود بالفعل ، فعندنا جيوش من المدرسين الأكفاء ، ولعل مصر أغنى بلاد الشرق بالمدرسين الأكفاء

ولكن الذى يعوز الحياة التعليمية فى مصر هو التوجيه السديد ، التوجيه الذى يُشعر المدرس بأنه مسئول أمام الوطن عن تكوين الجيل الجديد

ومن الواضح أن هذا لا يتيسر إلا إذا تغيّرت النظرة الحكومية والشعبية للمدرس

ومعنى هذا أنى أنتظر أن تكون أبوة وزير المعارف للمدرسين أبوة رفيقة إلى أبعد الحدود ، بحيث يجهلون المدلول من كلمات العلاوات والترقيات والدرجات ، لأن لهم أباً ينوب عنهم فى فهم تلك الكلمات

حدثنى صديق يساير مناقشات البرلمان بأكثر مما أصنع

أن معالى الهلالى باشا قال فى مجلس النواب: « إن وزارة المعارف هى وزارة الدرجة السادسة »

والعبارة صحيحة ، وإن جاز أنها من الكلام المنحول

ونحن نقرأ من يوم إلى يوم أن الهلالى باشا مَعْنِيٌّ بتحسين أحوال المدرسين ، وهذا الذى نقرأ ليس كلاماً يراد به الدعاية ، وإنما هو صدق فى صدق ، فهذا الوزير يجب أن يكون له فى وزارة المعارف تاريخ نبيل ، وسيرى المدرسون بعد أيام أنه ضمن لهم طمأنينة تريحهم من القلق الذى يساورهم منذ سنين

والمجال يسمح بتدوين الملاحظة الآتية :

كان يهمنى فى بغداد أن أسأل عن الطلبة الذين يتخلفون عن دروسى بدار المعلمين العالية ، وكان الجواب دائماً أنهم تحولوا إلى المدرسة العسكرية ، لأن مستقبلها مضمون

والحال كذلك فى مصر ، فالشباب عندنا لا يؤمّون المعاهد التى تُعدّ المدرسين إلا بعد اليأس من دخول المعاهد التى تُعدّ الضباط والمهندسين والأطباء

ومعنى هذا أن يفهم الجمهور أن المدرس هو شخص فاتته المواهب التى تؤهل لتلك المناصب

وأقول بصراحة إن المدرس لا يصلح لمهنته إلا إن كان غاية فى جمال الصفات الجسمانية والروحانية

ولن نظفر بمدرسين من هذا الطراز إلا إن ضمنّا أن تكون حياة المدرس فى مثل حياة الضابط والمهندس والطبيب

ولن يكون هذا إلا يوم يفهم الشبان أن مهنة التعليم مهنة مجد ، وليست Métier sans gloire كما يقول الفرنسيون

وهل ننسى الصراع الذى يثور عند الانقلابات الوزارية ؟

هل ننسى أن الوزير لا يرضى عن مصيره إلا إن كان وزير الداخلية أو المالية ؟

يجب أن يكون وزير المعارف هو الوزير الأول فى الدولة ، لأنه المسئول عن تكوين العقول والقلوب

قالت جريدة الأهرام إن الهلالى باشا استطاع بلباقته أن يظفر بألوف من الجنيهات لتحسين أحوال المدرسين

ومعنى هذا أنه انتهب من أموال الدولة أشياء باسم التعليم !

الله أكبر ، ولله الحمد !

إن مصر رضيت الحياد فى الحرب ، ولكنها لم ترض الحياد فى العلم ، فهى تناضل فى الميادين العلمية نضال المجاهدين الفائزين ، فما الموجب لأن يقال إن وزير المعارف قد استطاع بلباقته أن يأخذ من أموال الدولة أشياء ؟

لن نسكت أو يصير وزير المعارف هو الوزير الأول ، ليصير المدرس هو الرجل الأول فى هذه البلاد

نحن المدرسين نطالب الدولة بإقرار العدل ، لنصير مطمئنين إلى ما تريد من تثقيف الجيل الجديد

غايتنا واضحة وصريحة ، وهى أن يعرف الشعب أننا فى المقام الأول ، لأننا معلمون ، والمعلم هو الرجل الأول فى شريعة الإنصاف .

مدرسو اللغة العربية

كتبت عن هذا الدرس أربع صفحات ، ثم طويتها ، لأنه مدرس مظلوم ، فهل أعود إلى نشر تلك الصفحات ؟

لن أفعل أو أنشر أقوال المفتشين بالتفصيل

وسأرى كيف أروض القلم فى المقال المقبل

زكى مبارك

على هامش « أحلام شهرزاد »

٢ ـ قضية اليـــوم

للأستاذ دريني خشبة

قالت فاتنة : « أكتب يا صاحبي ... أكتب ... أكتب ولا تظنن أن الذي تكتب سيغضب صاحب شهرزاد أو المعجبين بصاحب شهرزاد وما أظنك إلا كنت واحداً منهم ، إن لم تكن ما تزال واحداً منهم . . . ثق يا صاحبي أن مبدع شهرزاد لا يحرجه نقد ما أبدع لأنه أخذ على نفسه عهداً بأن يُنَفِّذ فيها أحكام الزمان ، قاضيه في « القصر المسحور » . وهل نسى القراء بعدُ ذلك الحكم الذي أصدره الزمان — القاضي العادل — على مبدع شهرزاد ، في الفصل الأخير من القصر المسحور ؟ إن كانوا قد نسوا هذا الحكم فاكتبه هنا لهم عساه أن ينفعهم فيما نحن بسبيله اليوم من أمر تلك القضية التي أحدث ضجتها الخراصون وأرجف بها المرجفون ...

حكم الزمان : « والآن وقد سمعنا ادعاء المدعين ودفاع المتهم الأول ، ولاحظنا اعتزال من اعتزل وعدول من عدل عن الاتهام ؛ نقرر أن من حق الأديب أن ينشئ أشخاصه كما يريد هو لا كما يريدون هم ، بل إن من الحق على الأديب أن يتلق أشخاصه كما يؤديهم إليه فنه ، لا يغير من صورهم التي تلتاهم عليها ولا يبدل ، ولو حاول ذلك لما استطاعه ولما وجد إليه سبيلاً . ولمن شاء أن ينكر عليه أو على فنه هذه الصورة كلها أو بعضها ، وأن يعيب عليه أو على فنه ما يكون فيها من ضعف أو نقص أو تشويه ، وما ينبغي لهذه الأشخاص نفسها أن تثور بمنشئها أو تمكر به أو تكيد له أو تتألب عليه ، أو تبغى له سوءاً أو تستنزل عليه عقاباً ؛ فإن فعلت فهي طاغية يجب أن ترد عن طغيانها ، وباغية يجب أن تصد عن بغيها ، وجامحة يجب أن يكبح جماحها ، ومنشئها وحده هو القادر على ذلك . وسبيله إليه ترقية فنه وتجديده واصطناع الأناة والدقة والإتقان في التصوير والتعبير جميعاً . ولما كان المتهم نفسه قد أعلن تواضعه واعترف بقصوره وسلم بأنه في حاجة إلى أن يسمّى ويطيل السعى ، وإلى أن يجد ويمعن في الجد ، لا ليبلغ الكمال ، بل ليدنو منه .

ولما كنا نقدر للمتهم تواضعه وطموحه إلى الكمال ، واعترافه ببعد الأمد أمامه ؛ ولما كنا نحرص على أن نمنحه المعونة على ما يريد من الرقي الفني فقد قضينا أولاً بإسقاط دعوى المدعين ، وتبرئة المتهم مما وجه إليه . ثانياً ... بنفيه عن سالتس الخ ... »

وحسب القراء يا صاحبي هـذا القدر من حكم الزمان الذي ارتضاه صاحب « شهرزاد » ورضي أن ينشر في قصة (القصر المسحور) التي اشترك في إبداعها مع صاحب « أحلام شهرزاد » وليس القراء في حاجة إلى أن نذكرهم بأن هذا الحكم الذي أصدره الزمان القاضي العادل ، هو حكم أملاه على الزمان صاحب « أحلام شهرزاد » وكان حريصاً فيه على أن يرسم لشريكه السبيل إلى (ترقية فنه وتجديده واصطناع الأناة والدقة والإتقان في التصوير والتعبير جميعاً) ، وكان جميلاً من صاحب « أحلام شهرزاد » أن يسجل على شريكه : (تواضعه واعترافه بقصوره وتسليمه بأنه في حاجة إلى أن يسمى ويطيل السعى ، وإلى أن يجد ويمعن في الجد ... لا ليبلغ الكمال ... بل ... ليدنو منه) وأن يقدر له تواضعه وطموحه إلى الكمال ، واعترافه ببعد الأمد أمامه) . وحرصه على أن يمنحه (المعونة على ما يريد من الرقي الفني)

فهل تخشى بعد ذلك يا صاحبي أن يغضب صاحب شهرزاد إذا كتبت في قضية « أحلام شهرزاد » كلمة ترد بها الحق إلى نصابه ؟ وماذا يغضب صاحب شهرزاد كما يخرص الخراصون ويرجف بالباطل المرجفون ، وقد اشترك في نشر هذا الحكم الذي ذاع من أبراج القصر المسحور ولم يشترك في نشره إلا بعد أن قبله ورضي ما جاء به ، ولم يعقب عليه بكلمة ؟ الحق أن صاحب شهرزاد أعظم من أن توغر صدره الكريم نفثات المبطلين المصدورين ... بل واجبه أن يصفع بالحقائق التي وردت في ذلك الحكم أقفيتهم ؛ لأنه عرفها قبل أن يعرفها أحد قبله ، وأذعن لها قبل أن تذيع في الناس

وبعد فقد كان هذا الحكم تعقيباً على قصته ـ أو مسرحيته الرومانتيكية ـ شهرزاد ، فهل كان فن هذه المسرحية ناقصاً ؟ وهل كان في حاجة إلى التجديد واصطناع الأناة والدقة والإتقان في التصوير والتعبير جميعاً ؟ وهل نحن الذين يطلب إليهم أن يجيبوا على ذلك ؟ وكيف وقد اعترف صاحب شهرزاد بقصوره وسلم بأنه في حاجة إلى أن يسمى ويطيل السعى ، وإلى أن يجد ويمعن في الجد ... لا ليبلغ الكمال ، بل ليدنو منه ... إلى آخر ما جاء في عقابيل هذا الحكم من ألفاظ التواضع وبعد الأمد وحاجته إلى

معونة ثابتة من الخارج على ما يريد من الرقى الفنى ... الخ .

هل نجيب أو لا نجيب ؟ وهل يقف ما اعترف به صاحب شهرزاد بيننا وبين ما نريد أن نقول ؟ وهل من حقنا أن نقول شيئاً بعد هذا ؟ وهل نستطيع أن نخالف عن أمر الزمان وأن نثور بأحكامه ؟

أجل ، نحن نستطيع أن نفعل ذلك ، فقد جاء فى هذا الحكم الإذنُ (لمن شاء أن ينكر عليه (على الأديب) أو على فنه هذه الصورة كلها أو بعضها ، وأن يعيب عليه أو على فنه ما يكون فيها من ضعف أو نقص أو تشويه) ... وعلى هذا فلنا أن نتناول نقد شهرزاد بما نشاء من كل ضروب النقد ، ضامنين ألا يغضب مبدعها كما يحاول المرجفون المبطلون أن يحملوه على الغضب ، بما يوهمونه من السطو على بضاعته ، وادعاء ما هو حق خالص له

ولكن ... هل كان فن « شهرزاد » ناقصاً ؟ وهل كان فى حاجة إلى التجديد واصطناع الأناة والدقة والإتقان فى التصوير والتعبير جميعاً ؟ وكيف اعترف صاحب شهرزاد بذلك ، واعترف معه بقصوره وبأنه فى حاجة إلى أن يسعى ويطيل السعى ، وإلى أن يجد ويطيل الجد ... لا ليبلغ الكمال ... بل ... ليدنو منه ؟!

أما نحن فنخالف صاحبى « القصر المسحور » فى كثير من ذلك ، ونوافقهما فى بعضه ... إذ نشهد أن « شهرزاد » قطعة فنية رائعة من حيث الفن الأدبى الخالص لوجه الفن ، لا لوجه الحياة ... ومن حيث أنها تصور مذهباً فى الأدب يأخذ به كاتبها نفسه ، ويتحمس له ، ولا يرى أن يحيد عنه . . . أليس قد اشترك مع عميد الأدب العربى فى « القصر المسحور » فأبى إلا أن تكون له شخصيته المستقلة البارزة إلى جانب شخصية العميد التى تختلف بأسلوبها وتتفرد بسردها وتتخذ إلى قلوب القراء طرائقها المألوفة المعروفة ... وعندنا أن شهرزاد من حيث الفن ليست فى حاجة إلى ترقية ولا إلى تجديد .. فقد بلغت من ذلك الكمال . وهذا حق لا ريب فيه . أما الذى نثور من أجله على « شهرزاد » وعلى مذهب صاحبها كله فى الأدب ، فهو هذا التحقير الشنيع للمرأة ، واعتبارها متاعاً رخيصاً لا يصح أن يناط به الشرف ، أو اعتقاد الحفاظ فيه ، أو نسبة العفاف إليه . ثم هذه الحماسة التى يبديها صاحب هذا المذهب فى التمسك برأيه والفخر من أجله بأنه « عدو المرأة »

ومن القول المعاد أن نلخص للقراء فكرة العبقرى الأول الذى ابتدع فكرة قصص « ألف ليلة وليلة » والذى ابتدع من أجلها شخصية شهرزاد الرائعة ، تلك الفتاة النابغة التى استطاعت أن تطفئ جذوة الحقد على النساء فى نفس شهريار ، وأن تنسيه مأساة زوجته التى أزهق بسبب خيانتها أرواح هذه الجمهرة من فتيات مملكته ، والتى استطاعت مع ذلك أن تكسب حب هذا الملك المنقبض النفس ، المكظوم الفؤاد ، وأن تبادله ذلك الحب ، وأن تجزيه عليه الوفاء والصفاء والإخلاص ، كما استطاعت أن تردّ عليه ثقته بالمرأة التى كرهها ، ومحبته لها بعد البرم بها ، وافتتانه بحديثها بعد انصرافه عن كل كلمة تنبس بها ، فيكون له منها أبناء بررة ، وأسرة مجموعة الشمل ، فتتغير حاله خضوعاً لقانون الظروف ، ونزولاً على مقتضيات الأحوال الجديدة ...

هذه هى شهرزاد البسيطة غير المعقدة . هذه هى المرأة التى تعتبر ، ويجب أن تعتبر ، محور الحياة ومناط الفضيلة ، ورحمة الله التى تذهب الأحزان ، وابتسامة السماء التى تشرق فى القلوب المكروبة فتغمرها بالسعادة وتفعمها بالرضى ... المرأة التى تروض الطباع الجافية فتجعلها رخاء ، وتحتال للغرائز الوحشية فتحيلها إلى اللين واليسر والصفاء

أما شهرزاد الأخرى . . . تلك الهولة التى رمز بها صاحبها إلى المرأة فى كل زمان ومكان . . . فهى لا تمثل إلا نفسها ... إنها تمثل حلماً مريضاً يعلا خيالاً مريضاً ... لقد تصورها صاحبها امرأة احتالت على الملك — على شهريار — بقصصها البارع لتنقذ نفسها قبل أن تنقذ جنسها (ص ٤٠) كما صرحت بذلك للوزير وهى تحاوره وتداوره — هذه هى شهرزاد الأنانية الأثرة التى لا يصح أن تمثل إلا نفسها — أما شهرزاد التى تشتهى العبيد السود فى المنظر الخامس ، ولا تريد أن تشبع منهم ، وتخون الملك من أجلهم ، فمَن مِن بنات حواء تمثل ؟ مَن مِن جمهور بنات الإنسانية وأخواتها وأمهاتها تمثل هذه المرأة الساقطة الهلوك ؟!

هل تمثل إلا نفسها تلك المرأة التى تغازل الوزير فى المنظر الثانى ، ويستطيع حبها الدنس أن يعصف بنفسه — وهو الوزير المخلص — فى المنظر السادس ، وتكون نتيجة هذا الحب أن يقتل الوزير نفسه فى المنظر الأخير حينما يكتشف أن شهرزاد لم تكن تشتهيه وحده ، بل كانت تعبد (جسم) العبد أكثر مما كانت تعبد جسمه (ص ١٣٨)

ما هذا ؟ ما تلك الصورة الشاحبة التى يخبئها صاحب شهرزاد للمرأة فى مخيلته ؟ لقد مسخ الصورة الساذجة غير المعقدة ، الصورة العلوية الفردوسية التى ابتدعها الرجل العبقرى الأول الذى ابتكر فكرة ألف ليلة وليلة فجعلها صورة شائهة قبيحة فاجرة لا يمكن أن تمثل

مرأة المواخير التي تتجر بعرضها كما تتجر بأعراض الناس . يريد أن يقول المبتدع الأخير للعبقري الأول : إنك يا صاحبي رجل سليم النية طيب القلب ساذج التفكير ، تنظر للمرأة تلك النظرة العالية المبرأة فتتهمها بالذكاء الصالح ، وتنفي عنها الدهاء الطالح ، حين تضع بين يديها شخصية مستوحشة مثل شخصية شهريار الذي قتل زوجه الملكة وقتل العبد الذي خانته فيه ، ثم راح يقتل العذارى نقمة منه على جنس المرأة حتى رزقه الله هذه الفتاة الألمعية « شهرزاد » التي تسلمته كما يتسلم المروضون السباع والضواري فما يزالون بها حتى يسلس لهمَ قيادها وينقاد لهم عاصيها ، ويخضع كما تخضع الثعابين في الهند للموسيقا وتسكن سكون الطفل إذ يلتقم ثدى أمه ... أما أنا — لا جعلت فداك — فعلى النقيض منك ، إذ أني قليل الإيمان — بل لا إيمان لي على الإطلاق — بالمرأة ... المرأة التي تمثلها شهرزاد في كل زمان ومكان ... إني عدوها !! ... إنها مخلوق أناني سلف غادر ... إنها كائن غوى بغيّ فاجر ... إنها أصل كل بلاء ، وجالبة كل شقاء ... إنها كما جاء في هذا البيت المضحك الذي دسه عليك بعض القصاص المتأخرين فيما دسوه عليك من سخف ... هذا البيت الواهي المتهالك الذي لا يستقيم له وزن : (١)

إذا رأيت أموراً منها الفؤاد تفتت

فانظر تجدها من النساء تأتت !!

بالضبط يا عزيزي العبقري الأول ، ولو أنك أنت كنت رويت هذا البيت ، وتقفته لراقك أن يكون مذهبك في المرأة كما أصبح مذهبي ، ولدنت به كما أدين أنا — في آخر الزمان — به فقد تناولت شهرزاد الحصيفة العفيفة الظريفة اللطيفة التي قتلت الشيطان بين جنبي شهريار ، وأبادت الظلام الذي جثم على قلبه ، وأعادت إلى روحه السلام والطمأنينة ، وغيرت مجرى تفكيره في الحياة حين أنجبت له أبناء وخلقت له « بيتاً » ، شهرزاد التي لم تزل بالملك المتبرم بكل شيء ، الناقم على كل الوجود ، حتى على نفسه فردته إلى الرضى ، وغسلت قلبه بالثلج والبرد ، واشتركت وإياه في شئون الملك ، فاستقامت له الرعية ، وازدهرت في فيض عدالته الدولة ... تناولت أنا شهرزادك هذه فسختها ...

ولا تؤاخذني يا عزيزي العبقري الأول فهذا رأيي في المرأة ... وجعلتها أنانية أثرة لا تجهد إلا أن تبقى على نفسها وإن هلك نساء العالم . ثم جعلتها تخدع الملك وتصر على الانتقام منه فتخونه كأسفل ما خانته زوجته الملكة الأولى ، وتؤوي إلى فراشه العبيد الأقوياء السود فلا تشبع منهم ، وتحرص على أن يكونوا سوداً غلاظاً (فالزهرة البيضاء الرقيقة تنبت من الطين الأسود الغليظ) ، وتحرص أن يكون عبدها (وضيع الأصل قبيح الصورة ، لأن هذه هي صفاته الخالدة التي تحبها) ... فإذا أنبأها العبد أن (تلك هي صفات الشهوة !) قالت له : « اقترب » فإذا قال العبد : « يخيل إلى أنك امرأة لا ككل النساء . أنت لا يمكن أن تعشقي أحداً » قالت له « لا شأن لك بقلبي ! » فإذا قال : « أنت إنما تلعبين بي . إني أخافك » قالت : « أنت واهم » فيقول ، ويا مصيبة ما يقول : « وزوجك ! » فتقول : « ما شأنك به ؟ »

فهل رأيت إلى يا عزيزي العبقري الأول كيف أشعت الفجور في نفس شهرزادك ؟ وإن غضبت . فشهرزادي ! وماذا يغضبك وللأديب أن يضع أشخاصه في الصورة التي يحب كما جاء في حكم الزمان في آخر قصة القصر المسحور ؟ لقد أشعت الفجور في نفس شهرزاد وفي نفس العبد وفي نفس قمر وفي نفس الجلاد وفي نفس أبي ميسور ، وفي نفس الملك . إي والله في نفس شهريار الذي ما فتئ يقتل النساء . لقد جردته حتى من نخوة الرجولة وفحولتها وجعلتها ضعفاً وخنثاً وفسولة . لأنه يرى العبد يخرج من مخبئه في مخدعها ، فلا يبرم ولا يثور ولا يأمر جلاده بشيء ... ولا بالبصق في وجهه . ولماذا يفعل وقد اشتد إيمانه بأن هذه هي طبيعة المرأة التي لا سبيل إلى تقويم معوجها ؟

أرأيت إليّ يا عزيزي العبقري الأول ؟ ! هذا مذهبي في المرأة ... روّأت له هذا التروىء ، وموّهت به على قرائي ذاك التمويه ، وأذعته عليهم في كتاب وجد من حرية الرأى ورحابة الصدر ، وحسن الإلتفات ، في مصر والشرق ، ما وجد ، فشاع وذاع وملأ النفوس والأسماع ... وغلب القنشب — الذي ورد ذكره في كتابي — على صفاته الغوالي ، ومزاياه الكبار

قال فاتنة : « وحسبك هذا القدر اليوم يا صاحبي ، وقبل أن آذن لك فتضع هنا اسمك ، نبه الناس إلى أن صاحب أحلام شهرزاد لم يسرق من هذا الفجور شيئاً ، بل هو قد عالجه العلاج الذي كان ينبغي له منذ أعوام . وإلى اللقاء في الأسبوع المقبل »

دريني خشبة

(١) هما بيتان لا بيت واحد نظمهما هكذا :

إذا رأيت أموراً منها الفؤاد تفتت

فانظر إليها تجدها من النساء تأتت

(الرسالة)

الاصلاح الذى أنشده للأزهر

عماد المـــال

للأســـتاذ عبد الحميد عنتر

[وسيكون للجامعة الأزهرية نصيب كبير من اهتمام حكومتى ، فتعنى بإصلاح نظام التعليم فيها إصلاحاً يساير روح العصر ، ويحفظ لهذا المعهد الكبير صفته الدينية ، ويهيىء له من الوسائل ما يمكنه من أداء رسالته العلمية الدينية ، على الوجه الذى تنشده مصر ، ويحقق آمال الاسلام والمسلمين . وستوجه الحكومة إلى الوعظ الدينى عناية تناسب ما له من أثر فى تهذيب الخلق المصرى ، وما يبذله من جهود للاصلاح بين الناس] (من خطبة العرش)

هذا ما جاء فى خطاب العرش ، لسنة ١٩٤٢ خاصاً بالجامع الأزهر .

وهو على ما يرى القارئ قبس من نور الحكمة ، وسراج وهاج من روح الإخلاص الحكومى لهذا المعهد المتيد . ذلك المعهد الذى يجله ملوك مصر وحكامها ، منذ نشأته الأولى ، إلى أن بلغ من العمر ألفاً من السنين ، والذى له المنزلة العليا فى نفوس المسلمين بكافة بقاع الأرض ، لأنهم يتمثلون فيه المحامى الأكبر عن دين الله ؛ (الذى لا تصلح دنيا الناس إلا به) ، والحصن الحصين الذى حفظ تراث العرب ، من اللغة والآداب والعلوم ، ووقاها عاديات الضياع والإهمال ؛ ولأنهم يرون — ونرى معهم — أن النهضة الفكرية فى مصر ، والنهضة الخطابية والكتابية ، والنهضة الأدبية والشعرية ، وأستطيع أن أقول : والنهضة الوطنية . كل أولئك النهضات المباركات ، كان الفضل فى تدعيمها وتغذيتها للجامع الأزهر . فهل هو كما قال قائلهم الأديب ، الإبن البار بالأزهر ، الأستاذ حسن عبد العال ، صاحب جريدة الإصلاح الحلبية : « الأزهر حصن الدين وينبوع الأدب »[1] .

ولما كان فى التصريح الخطير المقتبس من خطبة العرش ، ما يمس نظام التعليم ، وفيه ذكر الوسائل التى تمكن الأزهر من تأدية رسالته على الوجه الأكمل ، أحببت أن أبين على صفحات « الرسالة » ما عنَّ لى من وجوه الإصلاح ، وما أراه أنفع الوسائل لأداء الرسالة العلمية الدينية ، على الوجه الذى « يحقق آمال الإسلام والمسلمين » . فأقول محاولاً الإيجاز ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله .

رسالة الأزهر قديما

لا مراء فى أن علماء الأزهر القدامى ، حملوا أمانة العلم ، وأدَّوْها أحسن الأداء ، وضربوا للناس المثل الأعلى فى الجد والنشاط ، والتوفر على الدرس والتحصيل ، وتطبيق أقوالهم الطيبة ، على أفعالهم الحميدة ، مع تغلغل فى البحث ، واستقلال فى الرأى ، وجهر بالحق ، وسمو فى الخُلق ، ورضاً لم يخالطه سخط ، وقناعة لم يتطرق إليها طمع ، وإخلاص لم يَشبه رياء .

لله درهم ! نشروا العلم وأحيوا الفضيلة ، وحافظوا على لغة الكتاب المنزل . فدرسوا وعلَّموا ، وصنفوا وألَّفوا ، ولخصوا ومحَّصوا ، حتى تركوا لمن بعدهم ثروة كبيرة من التآليف فى شتى العلوم ، تعد بحق مفخرة لهم ، فى عصر كاد ينطمس فيه نور العلم ، ويخبو فيه مصباح الفكر ، لولا نفحة سماوية ، وروح علوية إلهية . جزاهم الله عن العلم والدين خير الجزاء .

ومما يجب ملاحظته أن نفسية الأمة إذ ذاك ، كانت أكبر معين للعلماء على أداء مهمتهم ، وتبليغ رسالتهم على الوجه الذى سلف بيانه ، والتاريخ أعدل شاهد على ذلك ؛ وأن هذه النفسية قد تغيرت الآن تغيراً طغت فيه المادة على المعانى الروحية ، وأصبح الناس لا يقدُرون العالم لعلمه وأدبه ، أو سمو نفسه وطهارة قلبه وصالح عمله ؛ بل إنما يقدرونه للمال أو جاه ، أو منصب أو رياسة . ومن هنا وجب « أن تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا » ، وأن تتغير وسائل تأدية الرسالة العلمية الدينية ، طبقاً لروح العصر الذى نعيش فيه . وذلك ما سأبينه فى رسالة الأزهر الجديدة .

نظام الأزهر الحالى

إن من ينكر نظام الأزهر الآن ، كمن ينكر الشمس فى رائعة النهار ، ولا يجرؤ على ذلك إلا الجاهل المتعامى الذى لا يضير الشمس إنكاره ، ولا يغيّر الحقيقة جحوده واستهتاره .

---

(١) عدد الرسالة ٥٠٠

إن من يزور معهداً من معاهد الأزهر الابتدائية أو الثانوية، ثم يزور مدرسة من مدارس الحكومة الابتدائية أو الثانوية، المؤثثة على أحدث طراز — لا يرى فارقاً واضحاً بين المعهد والمدرسة، (إلا العمائم والطرابيش)

أما نظام الفصول الدراسية، ومقاعد الطلاب، وأدوات الدراسة: من مصورات جغرافية، وأخرى زخرفية، وسبورات للايضاح، وأدوات للرسم، ومعامل للكيمياء والطبيعة، وهيا كل مجسمة لدراسة علم الحياة (الأحياء) وقاعات للمحاضرات، أقول أما كل أولئك فهو فى معاهد الأزهر، كما فى مدارس وزارة المعارف، وتمتاز المعاهد بأن ما فيها من الطراز الحديث.

وإن من يزور كلية من كليات الأزهر، لا يرى فرقاً بين أية منها، وبين كلية الآداب أو الحقوق أو معهد التربية، إلا من حيث فخامة الأبنية والموقع الصحي المنتقى، وضخامة الميزانيات. فهى فى الأزهر وكلياته متضائلة متواضعة[1]، وفى مدارس الحكومة وكلياتها عظيمة متضخمة. وتكاد طريقة التدريس فى الأزهر الحديث، تضاهى الطريقة التى تتبعها مدارس الحكومة وكليات الجامعة، وكذلك نظم الامتحانات.

وقد استقر هذا النظام فى الأزهر، ورسخ فيه رسوخ الشُّم الرَّواسى، حتى أصبح من العسير جداً أن يُعدل به إلى أى نهج آخر؛ لأن رجال الأزهر وطلابه قد اعتبروه تقدماً وتجديداً، ومسايرة لروح العصر الحاضر. فالعدول عنه رجوع بمعهدهم القهقرى، ووقوع فيما فروا منه قديماً من بلاء!

فمن يحاول رجْع الأزهر كما كان، كمن يحاول أن يجعل «النيل» ينبع من شواطئ البحر الأبيض المتوسط ثم يصب فى أعالى السودان!

فالأزهر لا ينقصه نظام، ولا يُعوِزه رجال مفكرون، أو طلاب نبهاء، وإنما يعوزه إصلاح هذا النظام، ولا سبيل إلى إصلاحه إلا المال؛ ليؤدى به إلى بلاده، وإلى العالم الإسلامى رسالته الجديدة

وإذا قال الأزهر الحديث: «المال»، فهو لا يريد أن يتكاثر فيه حتى يصبح من أصحاب «الملايين»! أو التهالك عليه حتى يكون شغله الشاغل، ومحبوبه الأول! ولكنه يطلبه للاصلاح، وللاصلاح لا غير... يطلبه الآن لأنه ليس كالأزهرى فى الزمن السالف، الذى كانت تهدى إلى بيته الهدايا، من كل «ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين». يطلبه لأنه يرى أن كل شيء فى هذه الحياة الصاخبة مفتقر إلى المال. يطلبه ليتساوى مع غيره ممن يؤدون مثل مهمته، ويقومون بمثل عمله، من رجال التعليم

أمامى الآن بيان إجمالى لدرجات موظفى الإدارة العامة بالأزهر، ودرجات شيوخ كلياته وأساتذتها ومدرسيها وموظفيها ودرجات شيوخ المعاهد الابتدائية والثانوية ومدرسيها وموظفيها. وبيان آخر لدرجات أمثالهم من موظفى وزارة المعارف بالديوان العام، وعمداء كليات الجامعة وأساتذتها ومدرسيها وموظفيها، ونظار المدارس الابتدائية والثانوية ومدرسيها وموظفيها. والناظر إليه يرى البون الشاسع بين هذه الدرجات بالنسبة إلى عمل أصحابها من الفريقين!

فهى فى ميزانية الأزهر تتصاغر وتتضاءل، وفى ميزانيات غيره تتعاظم وتتكاثر. ولو شئت أن أذكر البيان التفصيلى مؤيداً بالأرقام لفعلت، ولكنى آثرت عدم ذكر شيء من ذلك رعاية لأزمة ورق الصحف، ولأن ولاة الأمور يعلمون ذلك علم اليقين. لذلك أجتزئ بذكر الأمثلة الآتية، ومنها يتبين الفرق الكبير:

الأول — فى الإدارة العامة: وكيل الجامع الأزهر لم يوضع فى الدرجة الأولى (التى تعطى لبعض أساتذة الجامعة) إلا فى سنة ١٩٤٢ مع أن نظيره فى ديوان المعارف يتقاضى مرتب «مدير عام»، ومفتشو الأزهر فى الخامسة والرابعة لا أكثر، مع أن مفتشي المعارف ليس فيهم من هو فى أقل من الرابعة. وكبار المفتشين فى الثانية

الثانى — شيوخ الكليات الأزهرية لم يوضعوا فى الدرجة الثانية إلا فى سنة ١٩٤٢، مع أن هذه لدرجة تعطى لأساتذة الجامعة، بل إن بعض هؤلاء فى الأولى كما سبق! وأما عمداء الجامعة فهم فى درجة «مدير عام»

الثالث — أساتذة كليات الأزهر ومدرسوها: لم يوضع أحد من الأساتذة فى الدرجة الرابعة إلا فى سنة ٤٢، ولم يكن أحد منهم فى الثالثة أو الثانية أو الأولى (بالطبع) مع أن أساتذة الجامعة ودار العلوم فى الثانية والثالثة وليس فيهم من هو فى أقل من الثالثة

---

(١) ماعدا معهد فؤاد الأول بأسيوط، فانه بز جميع المعاهد ومدارس الحكومة فى حداثة الطراز، وفخامة البناء، وتكامل النظام

أما مدرسو كليات الأزهر ، فهم فى الدرجات الخامسة والسادسة ، ويخجلني أن أقول : والسابعة ! مع أنه ليس فى مدرسي الجامعة من هو فى أقل من الخامسة

وعلى هذا القرار الفرق بين شيوخ المعاهد ، ونظار المدارس ، وبين المدرسين والموظفين فى كل منهما

فإذا طالب الأزهرى بالمساواة ، فهو طلب عادل ، ومساواة واجبة . وفى هذه المساواة تحقيق للعدالة بين طبقات الأمة ، وراحة لضمير فئة خصصت حياتها لخدمة العلم والدين ولغة العرب

فالأزهرى الحديث يطلب المال كما يطلبه غيره ، ليعيش بكرامته ، وينعم بخيرات بلاده كما ينعم غيره

وإذا كانت الدول تنفق الأموال الطائلة ، على الدعاية التى لم تتحقق ثمرتها بلا مقابل — فالأزهر أكبر دعاية لمصر فى الشرق والغرب ، بل هى دعاية محققة الفائدة ، بل قد يكون من القضايا المسلم بها ، أن مصر لم تتزعم العالم الإسلامى والشرق العربى إلا بفضل الأزهر . فليس بمستغرب إذن أن ينفق عليه للاصلاح ، بسخاء من غير مقابل !

وممن يطلب المال ؟ يطلبه من حكومته العادلة الرشيدة ، التى آلت على نفسها أن تصلح شأنه ، وأخذت على عاتقها أن تمكنه من أداء رسالته العلمية الدينية ، وأن توجه عناية خاصة إلى الوعظ والإرشاد

وهذا التمكين وتلك العناية ، لا يقومان إلا على أساس المال

وها أنذا[١] أرسم الخطة التى أرجو أن يسير عليها الأزهر فى عهده الجديد؛ لتكون منهاجاً واضحاً لمن يريد الخير والإصلاح لهذه الجامعة الدينية الكبرى . مصدراً ما أورده هنا عن تجارب الماضى وعبره

رسالة الأزهر الجديدة

هى بذاتها رسالته القديمة ، مضافاً إليها ما يلى :

١ — تأليف الكتب العلمية للدراسة . وهذه عقدة العقد فى إصلاح نظام الأزهر ، وأعتقد أن كل إصلاح لا يحل تلك العقدة ، لا يؤتى ثمرته المرجوة ، ولا يحقق آمال المسلمين

كتب الأزهر الحالية فى شتى العلوم ، مجموعات كبيرة من المتون والشروح والحواشي والتقارير[١] ، فهي حقاً ثروة علمية هائلة ، جمعت كنوز العلم ، وميادين الفكر ، وعصارات العقول . لولا ما فيها من حشو لا تسيغه أذهان الناشئين ، ولا يتفق وكثرة العلوم التى لا غنى عنها للطالبين

ألفت تلك الموسوعات فى زمن غير زماننا ، ولرجال غير رجالنا . هم عملوا ، وعلينا أن ننقح ما عملوا ؛ لأن ما عملوه لا يروج إلا فى سوق الأزهر ومعاهده ، ونحن نريد بضاعة علمية من التأليف ، تروج فى سوقنا ، وتغزو سوق غيرنا ، فى مصر وفى غير مصر من جميع بلاد العالم

نريد أن تكون كتب الأزهر القديمة ، مراجع علمية ، ومصادر للتأليف ، ومواد ودراسات عالية لمن يريد التضلع من العلم ، والتخصص فيه

ونريد أن تؤلف للدراسة فى الكليات والمعاهد الدينية كتب جديدة قيمة فى جميع العلوم ، مقتبسة من كتبنا القديمة مجمع المسائل العلمية ، والبحوث النافعة ، مع التنسيق وحسن الترتيب . مراعى فيها أن يمكن استيعاب دراستها فى الزمن المخصص لكل مرحلة من مراحل التعليم ، حتى لا تنفلت حلقة واحدة من سلسلة المقررات العلمية السنوية ، لكل فرقة من فرق الدراسة . وهذا النوع من الإصلاح لا يعوزنا فى تحقيقه إلا المال . أما الرجال فإن فى الأزهر الآن عقولاً تستطيع أن تؤلف أنفع كتب « أخرجت للناس » وإني أهيب بولاة الأمر فينا ، أن يبادروا بإخراج هذه الفكرة إلى حيز الوجود ولو بالتدريج ، قبل أن يقل العلماء القدامى ، فتفوت الفرصة السانحة ، تلك الفرصة التى يرجو كل محب لخير الأزهر أن تنتهزها حكومة الشعب ، فى عصر الملك السعيد ، صاحب الجلالة فاروق الأول ، أيده الله ، وأعز به الدين والوطن .

(يتبع)

عبد الحميد عنتر
أستاذ بكلية اللغة العربية

(١) رجح بعض الفضلاء هذا الرسم الاملائى

(١) وقد تجتمع مفردات هذه الأربعة فى كتاب واحد !

من مغانى الأزهار

إلى

« ذات الغدائر الذهبية »

لشاعر العاطفة والوجدان جان ريشبان (*)

JEAN RICHEPIN

للأستاذ عبد العزيز العجيزى

ليلاى ! هيا نجول فى روض الأحلام ، ونطوف بفردوس الأوهام . هيا ننعم بما يدانى قطوف فتنتك وجلالك ، وأفاويق سحرك ودلالك . هيا نسبح فى أجواء الخيال ، ونرفرف فى فضاء الآمال ، ونسمو إلى عالم الجمال ... واهاً لها من أحلام مغرية ! وواهاً لها من أحلام خادعة ! هيا نرنو إلى الأشجار الوارفة ، والأطيار الصادحة ، والمياه الساجية تحت قبة السماء الزاهية

* * *

تأملى يا حبيبتى ! فالشمس بازغة من مخدعها بزوغ الحسناء من خدر عشيقها ، شاحبة المحيا ، حسيرة الطرف ، كسيرة الجناح ، فى موكب الصباح النضير ، وجماله الساذج الغرير ، ناثرة فى الأفق طاقات الزهور المسجدية ، والورود القرمزية ، بينما الدجى يسحب غدائره السوداء .

* * *

زنبقات الفجر ! تلك الزنابق البيض تنثر لؤلؤاً وضاء ، فتوجى جبينك بهذا الأكليل اللألاء ، ليشدو الفجر الفريد ، شدو البلابل بالنشيد ، فتتفتح حينذاك أوراق الأزهار وتنفض عن أجفانها غلالة النعاس ، كما تنفض العيون عن أهدابها كحل الكرى عند انبلاج الصباح الوليد

* * *

ويترنم سيل الجدول المنساب ، حاملاً إليك بين ثناياه المترقرقة جواهر ماسية صافية ، ومن صفحته اللألاءة مرآة بلورية زاهية . وتندفع أحجار الحصى كثمار الجوز المنزلقة على الصراط الضيق ، وتفوح أشجار الصندل بالعرف الشذى ، والطيب الندى .

* * *

وتسلب الريح الهائمة أنغام القبل الراقصة على شفتيك ، وتنهب الأغانى الشادية على لمائك ، فتجمل الأشواق المتأججة ، والأمانى الهائجة ، ورعدة الصبوة الجامحة ، تهيم فى الآفاق ، وترقد فى منازل الأفلاك ، حالمة بسحر لحظك الفتاك !

* * *

ليلاى ! كل شىء يزهر تحت قدميك ، وينضر بين يديك ؛ فيشرق جماله لعينيك ، ويضوع نسمه من عبير ثناياك ، فى روض السحر والفتنة ، وأيك الجمال والروعة ... وينمو العشب وينبت الكلأ حيث تتباين الورود وتتنوع الأزهار . . . لحظة يا حبيبتى من لحظات عمرى أرشف فيها الهوى صرفاً ، وأنتشى بالحب خمراً .

* * *

كل شىء يمتزج فى ربيع هوانا بسحر الجمال ، ويثمل برحيق الوصال ؛ فيعانق شذى الوجود ، وخمر الطبيعة ، وفيض النور ، وصدحات القبلات الساجعات ، كشدو ناى مترنم فى مجامع الأزهار ؛ هذه القبل هى قربان هيامنا القدسى ، وزلفى غرامنا السرمدى .

* * *

ليلاى ! ها نحن أولاء غرقى فى ثبج هذا الحشد الزاهر ؛ فكيف النجاة من عبابه الزاخر ؟ عبثاً تحاولين الفرار ! فالأزهار تحنو منطوية عليك لشوقها إليك ، والرياحين ترنو مطلة إليك لتلهفها عليك .

* * *

بينما تبعث الزكى من روحها والشذى من

(*) شاعر فرنسى (١٨٤٩ — ١٨٩٩) أسلوبه فى قصائده ، صورة لجمال شعره فى نظمه وجرسه ونغمه . (المترجم)

اليابان إزاء الصيـــين

لليوزباشي حسين ذو الفقار صبرى

هناك فى الشرق الأقصى منذ أكثر من عام ، هبّت فجأة أعاصير الحرب تجتاح الدول عاصفة بالقوانين ، لا تعرف لتلك حرمة ولا تقيم لهذه حساباً ، ثم خبت نارها فجأة كما قامت ، وصفت سماؤها وشفّت إلا عن بضعة التحامات هنا وهناك ، ولكن تيارها العميق ، البعيد عن الأنظار ظل قوياً مستمراً عنيفاً تحت السطح الراكد قبل الزوبعة ، المتلاطم أثناءها ، ثم المختلج بعدها .

هناك فى مجاهل الصين منذ أكثر من خمس سنين انبثق ذلك التيار ، الجارف الآن ، مترقرقاً فى ذلك الحين ، ولم يزد على أن يكون مشاغبة تافهة بالقرب من بينيتج « بكين قديماً » ، ولكنها كانت مشاغبة توارت خلفها مطامع اليابان ، فانتهزتها فرصة للاقدام والتنفيذ ، ولكن تنفيذ ما ذا ؟ إستعمار الصين ؟ نعم ولكن ... أين كانت خطتها المحكمة التدبير ... ؟ أين كانت ، فإن المراقبين لم يروا منها إلا ارتجالاً إثر ارتجال ، ولم تحصد هى من أعمالها إلا توريطاً إثر توريط ؟

« إذا أردنا السيطرة العالمية ، وجب علينا أول الأمر إخضاع الصين ! » ، تلك كانت عقيدة الجيش اليابانى ، وهو كما لا يخفى أداة الحكم فى تلك البلاد . وإخضاع الصين عملية شاقة مرهقة ، عملية تستنزف أعنف مجهود ، وتستنفد أرواح ملايين من الجنود ، وتتطلب فوق هذا وذاك وقتاً طويلاً تكون اليابان خلاله متورطة فى مجاهل سحيقة فى حين تكون روسيا متربصة عن يمينها ، وبريطانيا رابضة عن يسارها ، وأسطول أمريكا جاثم على مؤخرتها ؛ إذ لم يكن هناك بد لإخضاع الصين من التوغل فى أرضها الوعرة الموحشة حتى تصل الجيوش إلى معبر توانج كوان عند منحنى النهر الأصفر ، وهو الذى يعد بحق مفتاح الصين اللازم لكل غاز منتصر ، وبدونه يستحيل الانتقال بالجيوش الجرارة أو الإمدادات الوفيرة إلى قلب البلاد ، وهو فى الوقت نفسه يمهد الطريق الأسهل إلى ولاية ستشوان الخصبة الغنية (حيث توجد العاصمة الآن) ، وهو أيضاً يهدد مرتفعات شانسى المشرفة على منشوكو والمنول الداخلية وسهول الصين الشمالية ! فهو كما ترى معبر به مغاليق الصين إلا أنه معرّض

ريحانها ، لتنهلها الريح بعبيرها ورياها ، وتلتهمها بعتمها وجناها ؛ كالسلوقى يعدو مسرعاً ويطوى الأرض لاهثاً ليروى ظماه ، ويمسك رمقه !

* * *

فاطو العمر أيها الزهر المخضب ، ومت بفتنتك بين الرياض وجداً وهوى ! فقد كتب الموت على الأزهار التى تذوب صبابة وهياماً ، لتنفث زفراتها أريجاً وعبيراً لمن جافاه نعيم الصبا ولم يهتد لضوء الهـــوى .

* * *

ليلى ؛ أواه ! حسبنا أن نموت كهذه الأزهار الولهة ، لنريق دماء صبوتنا عطراً متيماً ، فتسكر الريح بخمر قبلاتنا ، وتبوح الأزهار بسر غرامنا !

* * *

أجل يا حبيبتى ! هــذا هو الحب العاطر ينشر أريجه فى الأودية والحقول ، ويلهم وحيه الصادق الأفهام والعقول ، ويرويه للكون فى آبديه الليل والنهار ، هوىً عذرياً ، وحباً قدسياً ، فيؤمن بالحب بعد جحوده ، ويصحو على صوت مؤذنه بعد هموده

* * *

هنالك ، يوحى إلهامه ، ويهمس تراتيله فى أذن الطبيعة الصماء ، فتشدو الريح فى يوم عرسنا مرتلة أناشيد غرامنا ، وترقص أغانى العمر على الشفاه ، مغردة أغاريد الهـــوى على الثغور ، شادية ألحان القبـــل ، ساجعة أنغام الغزل .

(المنصورة) عبد العزيز العميزى

مهدَّد إنْ لم يحمه صاحبه باحتلال وادي نهر هان الملتف جنوبه .
إذن على اليابان أن تحتل هذه المعاقل الثلاثة النائية : معبر تواتج كوان ، ومرتفعات شانسى ، ووادى نهر هان ، قبل أن تأمل بسط سيطرتها على أبناء « الأرض الطيبة » ، وقد أحجمت ... فهي تعلم أن الدول الثلاث المحيطة بها لا شك مقدمة على وقفها عند حدها إنْ هي تجاوزته ؛ ولكن مطامع اليابان كانت متأصلة في نفسها ، مُلحَّة عليها ، مكبوتة متحفزة ، مخبوءة متربصة ، فهي إذن لا مراء مندفعة إلى عالم الوجود ، إن عاجلاً أو آجلاً ، كماء تفجر من ينبوع جياش ، فينقلب إلى سيل متدافع أرعن لا حاكم له ولا ضابط . لذا استقر رأى ولاة الأمور على تلافى تلك العاقبة الهوجاء بتفريج الحال على دفعات خلال منفس صغير أدّى بهم إلى سلوك مسلك عجيب ، برىء المظهر ، خبيث الطوية ، مسلك المتحرش بالقوم الآمنين حتى يستفزهم ، الغاضب لإهانة وهمية لم تلحقه ، المتوعد بالويل حتى يسترضى فيتأفف ، ثم المقدم على اغتصاب تعويض ضخم ليس من حقه ، وقد بنيت الخطط على أن يكون التعويض المذكور مقاطعة صينية تنتزع انتزاعاً لتضم إليهم ، وعند ما يتم إدماجها اقتصادياً واجتماعياً في نظامهم المرسوم تُعاود عملية الاستفزاز من جديد وهكذا دواليك .

وتحرشوا أول مرة فى « مكدن » فى سبتمبر سنة ١٩٣١ فضُمت منشوكو إليهم ... وتلمظت طوكيو هانئة بالذى ابتلعت ، وأدارت وجهها لانتقاء وجبتها التالية ، بينما مضت إدارتها الداخلية تنسق الولاية الجديدة ... ولم تعلق كبير اهتمام بذلك الشاب الصينى اليافع الذى علمته فى مدارسها الحربية ، وأنعمت عليه بلباسها العسكرى ، فجازاها بأن ألقاه فى وجهها وفرّ منها متقلباً بين اليمين والشمال فى حكومات الصين ، موحّداً لواءها مرة ومشعلاً الحرب بينها مرات ؛ ذلك الشاب الذى أضحى الآن رجلاً قوى الشكيمة شديد البأس على رأس جيش عرمرم ، ذلك الرجل الذى توصل أخيراً إلى توحيد مختلف حكومات الصين تحت تعاليم أستاذه العظيم « صون يات صن » ذلك الرجل الصارم العنيد ، شانج كاى تشك رجل الصين الأعظم ، ورمز عصرها الجديد .

تنبه القائد الصينى للخطر المحدق ببلاده فأعد خطته على أساس توسيع رقعة القتال بمجرد نشوبه مرة أخرى ، فيورط اليابان فى حرب أرجاؤها فسيحة وسط قوم مناهضين لهم ساخطين عليهم . إستمعْ إليه قبل الحرب بثلاث سنوات وهو يخاطب ضباطه فى « كولنج » : « تظن اليابان أن فى إمكانها احتلال الصين دون كبير عناء ... وهى لا بد معاودة التحرش بنا قريباً ... واعلموا أنه لا يتحتم علينا مقابلة كل سلاح تأتى به اليابان بسلاح يماثله ... بل فى وسعنا أن نجابه اختراعات العدو الجديدة بأسلحتنا التقليدية العريقة ، وهى مقدرتنا الفائقة على استخدام كل ما تراه العين أو تقع عليه اليد ، سواء أ كان هذا جبالاً أم أنهاراً ، حجارة أم أغصاناً ... يجب علينا إيقاظ شعبنا من سباته حتى يهب خلف المغير إذا تقهقرت القوات أمامه ، ... إنّ تحديد وسائل المقاومة لا يهم ما دامت تحدونا عزيمة لا تهن وهمة لا تكلّ ... »

وفى هزيع ليلة حالكة من ليالى يوليو سنة ١٩٣٧ دوت فى الفضاء عدة طلقات عند معبر « مركو بولو » بالقرب من بيبنج فكانت إيذاناً بالملحمة الكبرى . وأطبقت اليابان على الصين الشمالية ... وكان « كاى تشك » كما أسلفت قد قرر أن يمد رقعة القتال ويستدرج العدو إلى جوف البلاد ، أو على حد تعبيره ، كان قد قرر أن يشترى الزمان بالمكان . ظنت اليابان أنها مقدمة على نصر سريع كذلك الذى واتاها منذ ست سنين فى منشوكو . ظنت أن « كاى تشك » سيواجه جيوشها الميكانيكية الحديثة فى سهول الصين الشمالية ، ولكنه لم يفعل ، بل أرسل خيرة جنوده إلى شنغهاى يهدد مصالحها هناك فاستدرج جنودها وراءه . وهزم القائد الصينى هناك وأخلى عاصمته نانكين ثم هزم فى « سوتشاو » ، ثم هزم مرة ثالثة أمام عاصمته الجديدة « هنكاو » ، ولكنه فى كل مرة كان ينزل بأعدائه أفدح الخسائر ويرتد عنهم قبيل إطباقهم عليه ، مغرياً إياهم باللحاق به والتوغل خلفه حتى أضحت جنود الحملة اليابانية منتشرة على مساحة شاسعة ، ولم تعد قادرة على تركيز مجهودها فى مكان معين ، واضطرت حامياتها الموزعة على مختلف المدن الصينية المحتلة أن تحمى خطوط المواصلات حتى لا تفقد تماسكها ولكنها لم تجرأ على المخاطرة بنفسها فى الأماكن غير المطروقة ، وهكذا أصبحت

لا تحتل من البلاد إلا شبكة خيوط مرسومة حول أرض وعرة مجهولة وبالهلاك موبوءة

توصل شانج كاى تشك إلى تنفيذ مأربه وأصبحت القوات اليابانية عاجزة عن إحراز نتيجة حاسمة ، وأضحت حكومتها لا تجرؤ على التراجع بعد أن بهظت تكاليف مغامرتها ، وظلت إدارتها الداخلية قاصرة على تنظيم موارد أراض لم يستتب الأمن فيها بعد

وفى الوقت نفسه كان القائد الصينى يجمع الجنود وينظم الصفوف ويستورد المهام من روسيا عبر « سنكيانج » ، ومن بريطانيا وأمريكا عبر بورما أو عن طريق بعض الموانى التى حمتها امتيازات الدول الغربية

ووقفت اليابان تراقب ذلك الجرح الذى لا يندمل بقلب كمد وعقل مبلبل حائر ... ثم قبض جنرالها « سوجياما » على مقاليد الجيش وأصبح رئيساً لهيئة أركان الحرب العامة ، و « سوجياما » هذا جندى نشط جسور ، يواصل العمل ليل نهار تحدوه إرادة لا تكل ، وكراهية ملتهبة لكل ما هو أجنبى ، وكان عليه أول الأمر عزل الصين عن كل مساعدة خارجية وتأمين مؤخرة اليابان أمداً من الزمان حتى يتم لها القضاء على مقاومة شانج كاى تشك ... وربض « سوجياما » يرقب اللحظة المناسبة حتى واتته فانقض ... فكانت « بيرل هربور » وتبعتها هنج كنج والفلبين وبورنيو والملايو وبورما وسومطرة وجاوة وجزر سليمان ...

يظن الكثيرون أن تلك كانت مقدمات لانقضاض اليابان على استراليا أو استعداداً منها لاجتياح الهند ؛ وإنى لا أنكر أنها قد تتحول إلى ذلك مستقبلاً ، ولكنها لم تكن فى ذلك الحين إلا سياجا عظيما أقامته اليابان حول الصين وبحار الصين ، وإن كانت لم تتعرض لطريق روسيا التى انشغلت عن مساعدة شانج كاى تشك بحربها الشعواء مع ألمانيا النازية ، وعدا ذلك فقد خشيت طوكيو استفزاز الجنرال الروسى اشترن الذى وقف على أتم استعداد يراقب بعين يقظة جيش إتاجاكى المرابط فى منشوكو ...

كل شىء هادىء فى الميدان الشرقى ! ... هكذا يقرر الكثيرون لأن الصحف لم تعد تقدم لهم عنه ما تعودوه من عناوين ضخمة ، وهم فى ذلك مخطئون ... فقد ألقت اليابان فى أتون المعركة بفرق أخرى جديدة ، وأطبقوا على « شنسى » فى الشمال ، واحتلوا « شكيانج » و « كيانجى » فى الجنوب الشرقى فأصبح لهم خط حديدى تام يصل شنغهاى بسنغافورة عبر الهند الصينية وسيام ، وهاهم يقاتلون الآن فى مقاطعة يُنان حيث ألقى شانج كاى تشك بجنده المختارة على أمل إعادة فتح طريق بورما المشهور ، بينما سارع وكيل هيئة أركان حربه الجنرال المسلم « باى تسونج هسى » إلى الشمال للدفاع عن « شنسى » ...

كل شىء هادئ فى الميدان الشرقى ! ... نعم إلا إذا استثنينا ذلك الصراع الهائل الذى يخوضه ربع سكان العالم ، أربعمائة مليون شخص ، فى سبيل حريتهم .

كل شىء هادئ ... ولا جديد هناك ! نعم لا جديد سوى أن زهرة الجيش اليابانى قد عُقلت وأصبحت عاجزة عن الإقدام على مغامرة جديدة ! لا جديد سوى بضع معارك طاحنة فى ينان وشنسى وتشكيانج وكيانجسى ! لا جديد سوى أن تلك المعارك يتوقف عليها مصير العالم الشرقى بأجمعه !

صبحى ذو الفقار صبرى

ميلاد زهرة

[إلى الطيور النائمة فى أعشاشها قبيل فجر الشتاء]

للأستاذ على محمود طه

(من ديوانه الجديد (زهر وخمر) وهو الآن على وشك الظهور)

يا شعراء الروض أين البيان ؟ أين أغاريد الهوى والحنان ؟
قد وُلدت فى روضكم زهرة يا حُسنها بين الزهور الحسان !
حُلم الفراشات ، وحب الندى وخمرة النحل وسحر الأوان
قد بشر الأرض بها مُرسَلٌ مجنح من نسمات الجنان
والنور سر فى ضمير الدجى والفجر طيف لم يبن للعيان
أبصرتها تهفو على غصنها فى وحشة الليل وصمت المكان
بيضاء أو حمراء تزهى بها عرائس النرجس والأقحوان
تظل تصغى ، وتظل الربى والعشب والجدول والشاطئان
وليس منكم حولها هاتف تسكب موسيقاه سحر البيان
أملت النشوة أرواحكم ؟ أم نضبت من خمرهن الدنان
قوموا انظروا الطل على مهدها يرقص فيه القمر الأضحيان
لو تقدر الأنسام زفت لها أربعة الفردوس فى مهرجان
وأسمعت من خفق أنفاسها صوت البشيرات وشدو القيان
يا شعراء الروض كم زهرة ميلادها من حسنات الزمان
حسبى من الدنيا على شدوكم زهر وخمر ووجوه حسان

على محمود طه

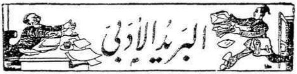
المنارة الجديدة

للأستاذ خليل شيبوب

[ألقيت فى حفلة « تحية الشعر السكندرى إلى جامعة فاروق الأول » التى أقيمت فى جمعية الشبان المسيحيين بالاسكندرية يوم الخميس ٢٥ مارس سنة ١٩٤٣]

سماء الهدى فيضى ضياء وجددى ضياءك إن القلب بالنور يهتدى
وما زالت الإسكندرية مهبطاً لوحيك فيها نازلاً أرض موعد
أطلى بألوان الربيع وأطلعى من الزهر فيها فرقداً إثر فرقد
فإن عروس الشرق أنفاسها الشذى وحُلّتها بُرْدُ الشباب المجدد
أنار على شط المحيط ابتسامها يَرُدُّ إلى الميناء كل مشرَّد
وسيان سفر فى الحياة مضلل وسفر على لج من اليم مزبد
أطلت على التاريخ شمساً تشعبت أشعتها من مصدر فيه أوحد
بعلم وفن كالسناء وكالسنا وبأس وعزم كالمنيف المشيد
إذا ما خبت تلك المنارة وامحت معابد فيها للجمال المخلد
فقد بقيت فوق الزمان منارة كما بقيت للحسن أكبر معبد
وها قد أتاها الدهر معتذراً لها بجامعة تستلحق الأمس بالغد
منارة فاروق وليدة ملكه فيا حسن أنوار ويا فخر مولد
بناها فأعلاها مليك تألقت عليه قلوب تصطفيه وتفتدى
وساق إليها صفوة من رجاله جهابذة أعلام فضل وسؤدد
وفجر فيها شرعة صولجانه من العلم مرويا بها ظمأ الصدى
إذا فرق الوراد محشودة بها كتائب آمال تروح ونغتدى
وشرفها لما تقلد مفضلا إجازتها مزهوة بالمقلد
فأبلغها أوج الكمال فتية تباهى بما نالته أقدم معهد
أتم على الاسكندرية مجدها عظيم له تعنو العظائم عن يد
فعاودها التاريخ يفتح بابه لها مستعيداً سيرة المتعود
وهل عليها الفجر يلثم ثغرها وهب عليها الروض بالعبق الندى
وضاحكت الآفاق شاطئها على مباهج فيها النور لحن مغرد
فيا شعلة الفن القديم تجددى ويا جذوة الحسن الصميم توقدى
ويا ثغرها هذى المنارة فابتسم ويا موجها هذا الضياء فأنشد

خليل شيبوب



حول قضية شهرزاد: الأدب والأشخاص

في العدد الفائت من الرسالة أكثر من ثلاث صفحات عن « قضية شهرزاد » للأستاذ « الدربني خشبة ». وقضية « شهرزاد » قد أثيرت منذ صدرت « أحلام شهرزاد » وأثيرت في جو أدبي مقيد بهذا الوصف، ولا تزال قابلة لأن تثار في هذه الحدود. ولكنني أسمح لنفسي أن أقول: « إنني شممت في كلمة الأستاذ « رائحة » أخرى!

ففي حدود الأدب الخالص يملك الأستاذ أن يقول عن « أحلام شهرزاد » على لسان فاتنة « إنني أروع لوحات الفن في عالم الأدب المصري الحديث ... » أو أن يقول: « صورتي الرائعة التي هي ابتكار جديد لم يسبق أحد صاحبي إليه، ولا استطاع أحد أن ينبت في جنة شهرزاد زهرة أبنع منها ولا أعبق من شذاها شذى » ... الخ

فهذا حكم أدبي يجد الأستاذ كثيرين يوافقونه عليه، ويجد كذلك كثيرين يخالفونه فيه؛ بل يجد كثيرين يقولون له: إن أحلام شهرزاد بما فيها صورة فاتنة، لا تقاس إلى لوحات الفن التي رسمها الدكتور طه حسين نفسه في كتاب « الأيام » أو في « دعاء الكروان » أو في « الحب الضائع » أو في « أديب » إلى آخر هذه اللوحات التي عاشت طليقة في سماء الفن الرفيع غير مقيدة بأوضاع اجتماعية أو سياسية حياتها محدودة في نطاق من الزمان!

وسواء خالفه الناس أو وافقوه، فهو حكم أدبي خالص لا عليه فيه من جناح!

أما الذي عليه فيه جناح والذي تمنيت وتمنى الناس ألا يكون في لغة النقد الأدبي في هذا الزمان، فهو مثل قول الأستاذ في رأي من يخالف رأي صاحب أحلام شهرزاد عن المرأة إنه « رقاعات »!

أو مثل قوله فيمن يخالفون رأيه هو في أحلام شهرزاد: إنهم « خراصون مرجفون »!

أو مثل قوله في قراء « شهرزاد »: « وإذا صح أن يكون الناس قد صاروا نوكى وقماديد صح أن تؤلف لهم قصة كقصة شهرزاد تهدف بالمرأة إلى هذا الهدف الوضيع الذي يجعل بيوت الناس مواخير فسق وأسواقاً للبغايا ».

ومثل هذا كثير في كلمة الأستاذ، بل هو مادة كلمته وقد اختار أن يجعل من «شهرزاد» رمزاً لبناتنا وأخواتنا وأمهاتنا. واختار أن يجعل مؤلفها قد انتهك أعراضنا وحرماتنا، فلم نثر ولم نسخط، فنحن إذن: « نوكى قماديد » ونحن إذن « فسول أفيكون مدخولون في عقولنا »

وأعتقد أن هذا وأمثاله لم يعد لغة في النقد في هذا الزمان. فالنقد لم يعد يقبل أن تستثير ضد الرأي الأدبي الذي تخالفه نخوة الدين ونخوة العرض ونخوة الأخلاق، وأن تتهم بلا حساب كل ناقد أدبي يخالف رأيك في نخوته وشرفه ومروءته ونجدته ونحيزته »!

أحسبه أراد أن يقول: إن لكل من مؤلف شهرزاد ومؤلف أحلام شهرزاد رأياً في المرأة يختلف عن رأي الآخر ويؤثر عليه في اتجاهاته الأدبية؛ فتلك قضية كان يمكن أن تؤدى بأعف من هذه الألفاظ وأكرم. ولقد أديتها في مجلة « المقتطف » في حدود أوسع من هذه الحدود، وأديتها واضحة صريحة مفهومة، ولم أجدني محتاجاً إلى كل هذا العناء!

وبعد فالأستاذ يكرر مرة ومرة: « أنه لا يبغي بما كتب أن يرضي أحداً أو أن يغضب أحداً » فأحب أن أطمئن الأستاذ (وهو حديث عهد بالعمل تحت رياسة المستشار الفني) أنني جربت مؤلف « أحلام شهرزاد » في نظرته للنقد الأدبي، وعلمت أنه لا يثير غضبه ولا يستوجب رضاه! والسلام

سيد قطب

هل ذو القرنين هو كورش الفارسي

أخذت في العدد - ٥٠٧ - على بعض الفضلاء أن ما ذهب إليه في ذي القرنين لا يتفق مع القرآن ولا مع سؤال اليهود، لأنه يرى أن الآيات الواردة في ذي القرنين هي في الحقيقة تاريخ دولة برمتها، وهي دولة الفرس من كورش إلى دارا الثالث، مع أن كلا من سؤال اليهود وتلك الآيات صريح في أن ذا القرنين شخص واحد، لا تاريخ دولة برمتها. وقد عاد هذا الفاضل في العدد - ٥٠٨ - إلى تأييد رأيه بعد تهذيبه بتأثير ما أخذته

عليه ، فذهب إلى أن الآيات القرآنية تمثل تاريخ ملك واحد لا دولة برمتها ، وإلى أن ذلك الملك هو كورش منشيء الدولة الفارسية ، وذلك باطل أيضاً من وجوه

١ — أن كورش حينما اتجه إلى السكيثيين المعروفين الآن بالتتر لقيته الملكة طوميريس بجيوشها ، فوقع بينهما حرب شديدة انتهت بأسره وقتله ، وهذا لا يتفق مع ما ذكره القرآن عن ذى القرنين حين وصوله إلى بلاد التتر ، فهو لم يقتل هناك كما قتل كورش ، وإنما بنى سداً ذكر القرآن أنهم لم يستطيعوا أن يظهروه ولم يستطيعوا له نقبا

٢ — أن بلاد فارس تقع فى جنوب آسيا ، فحينما اتجه كورش منها إلى آسيا الصغرى وسوريا كان متجهاً إلى الشمال لا إلى الغرب كما جاء فى القرآن عن ذى القرنين ، ولا شك أن آسيا الصغرى وسوريا لا يمكن أن يقال عمن يصل إليهما إنه بلغ مغرب الشمس ، لأنهما يقعان فى قلب المعمور من نصف الكرة القديم ، وإنما يمكن أن يقال ذلك فيمن بلغ فى فتوحاته أوائل بلاد المغرب على الأقل

٣ — أن رؤيا دانيال ليس فيها إلا تمثيل دولة الفرس بكبش ذى قرنين ، وتمثيل دولة اليونان بتيس ذى قرن واحد ، وكما لا يقتضى تمثيل دولة اليونان بهذا التيس تلقيب ملوكهم بذى القرن الواحد ، لا يقتضى تمثيل دولة الفرس بذلك الكبش تلقيب ملوكهم بذى القرنين

أما الاسكندر المقدونى فإنه كان يلقب بذى القرنين كما ذكره كثير من المؤرخين ، ويؤيد هذا تلك الدنانير القديمة التى عثر عليها فى عصرنا ، وقد رسمت فيها صورة الإسكندر وعلى رأسه قرنا أمون . أما فتوحاته فقد اتجه فيها من اليونان إلى آسيا الصغرى ، فحارب فيها دارا وهزمه ، وسار بعد هذا إلى سوريا فمصر حتى وصل إلى واحة سيوة ، وبذلك يمكن أن يقال إنه وصل إلى مغرب الشمس ، لأنه وصل بذلك إلى بلاد المغرب ، ثم عاد بعد ذلك متجهاً إلى الشرق فقتل دارا وفتح بلاد فارس وما وراءها حتى وصل إلى بلاد الترك ، وهذا الفتح يتفق اتجاهه مع اتجاه الفتح المنسوب فى القرآن لذى القرنين ، وكذلك يتفق الفتحان فى نهايتهما غرباً وشرقاً

أما وثنية ملوك الفرس فهى واضحة وضوح الشمس ، وقد كان أسيياج جد كورش لأمه وثنياً ، وهو الذى دعا أرباغوس من حاشيته ليحضر ما يقدمه من قربان للآلهة شكراً لهم على سلامة كورش ، فقدم لأرباغوس لحم ابنه مطبوخاً فأكله ، وقد فعل معه هذا لأنه لم يقتل كورش حين سلمه إليه وليداً وأمره بقتله ، وكذلك كان كورش وقمبيز وغيرهما من ملوك فارس ، وقد كان بعضهم يؤمن مع ذلك بإله الإسرائيليين ، فيكرمهم تبعاً لإيمانه به ، ولكن هذا لا ينفى الوثنية عنه ، لأنها لا تنتفى إلا بالإيمان بالله وحده

عبد المتعال الصعيدى

إلى الدكتور زكى مبارك

قرأت مقال الدكتور النابغة عن « اللغة العربية فى المدارس الثانوية » وقد تحدث فيه عن ضعف التلاميذ فى الإنشاء فرجعه إلى المدرس ، فهو السبب الأول والآخر والظاهر والباطن ، وسرد أسباباً لبابها انصباب الضعف على رأس المدرس ، أو من رأسه ، أما التلميذ ، وأما المفتش ، وأما الوزارة ، وأما الوسط ، وأما المنهج ، وأما توزيعه ، فليس لكل أولئك أثر من جناية على التلميذ فى ضعفه . والسكوت على الاتهام مع القدرة على دحضه فوق أنه ضعف إثبات للتهمة وتزييف للعدالة ، لذلك سأرد على ذلك الاتهام لا لتبرئة نفسى وأخى بل لأضع الحق فى نصابه

يرى الدكتور أن السبب الأول : « سيطرة المدرس على لغة التلميذ » وهذه السيطرة هى السبيل الوحيد لتزويده بما يشاء من ألفاظ ومعان يستخدمها فيما يكتب ، لأنه لا يزال فى أول طريق الكتابة فسنة أو سنتان فى التعليم الابتدائى لا تقدر التلميذ على الكتابة المستقلة

السبب الثانى : « تحكم المدرس فى عقل التلميذ » ، ويقصد الدكتور بذلك حصر عناصر الموضوع وتسلسلها ؟ ومع أن هذا لا عيب فيه ؟ لأن العناصر تستخلص من أفكار التلاميذ وبألسنتهم فتلك الطريقة لا تتبع إلا فى السنوات الأولى من التعليم الثانوى ، على أن الأساتذة لا يقيدون التلاميذ بالعناصر بل يتركون لهم العنان يفكرون كما يشاءون ؟ ويكتبون ما يشاءون

السبب الثالث : « تقديم موضوعات بعيدة عن مدارك التلاميذ وأريد بها الموضوعات الميتة »

فى هذا السبب يتجنى الدكتور على كثرة المدرسين إذ هو لم يطلع – من غير شك – على جميع – الموضوعات المختارة وإنما اطلع على قلة ضئيلة لا يمكن إلا أن يكون فيها الحى والميت والحكم القائم على القلة حكم واهى الأساس

السبب الرابع : « إقبال المدرس على تصحيح الكراريس وفى ذهنه صورة محدودة للاجابات ، فهو يهمل كل صورة منحرفة عن تلك الصورة » وذلك تجن ثان أو ثالث – كما يشاء الدكتور – فإن أحداً لم يطلع على ما ارتسم فى ذهن المدرس حتى يحكم هذا الحكم ، وإن يكن الدكتور أيام تدريسه يسلك تلك الطريق فلا يصح اتخاذه طريقته دليلاً على طرائق غيره .

السبب الخامس : « إغرام بعض المدرسين بالإكثار من التصحيحات إكثاراً يشهد برغبتهم فى التفوق والاستعلاء » .

وإن يكن الشق الأول مما يزعمه الدكتور صحيحاً فليس فيه ما يعيب المدرس الذى يعنى بتقويم العبارة وتحقيق اللغة ، أما التفوق والاستعلاء فمنيان لا يردان فى خاطر المدرس لأنه بطبيعة مكانه من التلميذ يستأهلهما . ولا أحسب الإباحية اللغوية التى يدعو إليها الدكتور فى كثير من أدبه صراحة حيناً ودوراناً حيناً مقبولة لدى جمهرة الأدباء عامة وعلماء المجمع اللغوى خاصة .

السبب السادس : « الهيام بتجميل الموضوعات بالباطل حيثما وقعت » وقد يكون فى هذا شبهة من الحق لو أنه نسب إلى التلميذ وأن الأستاذ يعالجه أنجع العلاج .

أما مراقبة التلاميذ فيما يقرءون فأؤكد للأستاذ الدكتور أنها لا تجدى ، ولا يصلح اتخاذ موضوعات الإنشاء مما تثيره تلك القراءات، فجلهم – إن لم أقل كلهم – يقرأ من القصص الوضيع ومن الأدب الرخيص

وبعد فالعذر للأستاذ واضح فما جدوى اثنى عشر موضوعاً يكتبها التلميذ ثم لا يجد من الوقت ما يدفعه إلى تعرف أخطائه ؟ وأنى له الفرصة ليصف لكل تلميذ داءه والفصل يتراوح بين الثلاثين والخمسة والثلاثين ؟ »

حضرات المفتشين :

وحدوا خططكم ، وسددوا توجيهاتكم ، ونظموا مناهج لغتكم ، وامنحوها من الحظ ما للغة الأجنبية ، وأعطونا من الحرية ما يحفزنا إلى الإثمار والإنتاج ، ثم تعالوا بعد ذلك فحاسبونا ولومونا إن وجدتم إلى اللوم سبيلاً فلوم المقصر تقويم لا يخشاه الجادون فى عملهم البصيرون بواجبهم .

عبد العظيم على قناوى

المدرس بالقبة الثانوية

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين – عابدين)